التفسير الإشاري وضوابطه عند الصوفية
- تفسير سهل التستري أنموذجا-

أسماء مسعودي
جامعة الجزائر 01 (الجزائر)

الملخص:

يعتبر المنهج الإشاري أحد المناهج القديمة التي اعتمدتها الصوفية في تفسير القرآن الكريم وتوضيح معانيه، وهو يعتمد أساسا على أن للقرآن الكريم معنى ظاهرا وآخر باطنا، ويعدّ تفسير القرآن العظيم لسهل بن عبد الله التستري من أوائل الكتب التي ألفت في هذا النوع من التفسير، ولطبيعة هذا التفسير فقد وضع العلماء عدّة شروط لقبوله واعتباره، لذلك فإن هذه الدراسة تهدف الى بيان مفهوم التفسير الاشاري وضوابطه، كما تهدف إلى بيان منهج سهل التستري في التفسير الإشاري من خلال كتابه، وذلك من خلال الإشكالية التالية: ما هي الشروط التي وضعها العلماء لقبول التفسير الإشاري؟، وكيف كان منهج سهل التستري في التفسير الإشاري؟، وإلى أي مدى كان التزامه بهذه الشروط؟.

الكلمات المفتاحية: التفسير، التفسير الإشاري، سهل التستري.

indicative interpretation and its controls at the Sufism interpretation of Sahl Al Tastori as a model

Abstract:

The indicative approach is one of the ancient approaches adopted by Sufism in interpreting the sacred Qur’an and

clarifying its meanings, This approach is based on the idea that the Holy Qur’an has both an implicit and explicit meaning. Actually, the interpretation of the Great Qur’an by Sahl bin Abdullah al-Tastori is considered as one of the first writings written in this type of interpretation, and because of the specific nature of this Interpretation, scholars have set several conditions to accept it and consider it .Therefore, this study aims to explain the concept of the indicative interpretation (Tafssir) and its rules .Moreover , it aims to explain the approach of the Sahl al-Tastori in using the indicative interpretation through his book. We will seek that through the following problematic : What are the conditions set by the scholars to accept the indicative interpretation And how was Sahl Al-Tastori's approach in applying the indicative interpretation? And to what extent was his commitment to these conditions?

Key words: Tafsir, interpretation, indicative interpretation,. Sahl Al-Tastori.

مقدمة:

أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بلسان عربي مبين، يبين للناس أمور دينهم ودنياهم، فالقرآن الكريم هو النور الرباني والهدي السماوي، لذلك فقد حضي بالتفاف العلماء حوله بغية تفسيره والوقوف على ما يتضمنه من معاني، فظهرت عدة تفاسير للقرآن الكريم كالتفسير بالمأثور، ويقصد به ما جاء في القرآن الكريم أو السنة أو كلام الصحابة بيانا لمراد الله تعالى من كتابه، والتفسير بالرأي وهو ما يعتمد فيه المفسر في بيان المعنى على فهمه الخاص واستنباطه بمجرد الرأي.

أما الصوفية فقد اهتموا بتفسير القرآن بمنهج آخر يتماشى مع تجربتهم السلوكية والعرفانية وتجلى هذا في ظهور ما يسمى بالتفسير الإشاري، فهم يرون أن النص القرآني تحتجب وراء دلالته اللفظية أفكار عميقة ومعان دقيقة لا تكشف إلا لأرباب السلوك. وقد ظهر هذا النوع من التفسير في القرن الثالث، وكان عبارة عن تفسيرات متفرقة لبعض الآيات القرآنيةـ، كتفسير سهل بن عبد الله

التستري، والذي يعتبر من أوائل الكتب التي تناولت التفسير الإشاري، وأبي الحارث المحاسبي (ت 243هـ)، وأبي القاسم الجنيد(ت297هـ) وغيرهم.

ولقد حرص العلماء على وضع عدة شروط وضوابط للتفسير الاشاري، وكان الغرض من وراء ذلك أن يبقى هذا التفسير في إطاره المحمود كما كان في بداياته الأولى، فهذه الشروط والضوابط تعد بمثابة لجام لهذا التفسير حتى لا ينحرف عن مساره ولا يفوت المقصود منه.

ولذلك فقد جاء هذا البحث للإجابة عن التساؤلات التالية: ما هي الشروط التي وضعها العلماء لقبول التفسير الإشاري؟، وما هو منهج سهل التستري في التفسير الإشاري؟ وإلى أي مدى كان التزامه بهذه الشروط؟

1- تعريف التفسير

أ- لغة: من الفسر، وهو الكشف والإظهار، يقال: فسرت الشيء وفسّرته إذا كشفته وأظهرته[1]، ومنه قوله تعالى:﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان،الآية:33]. ،أي بيانا وتفصيلا، فالتفسير لغة يستعمل في الكشف الحسي وفي الكشف عن المعاني المعقولة[2].

ب- شرعا: يعرّف التفسير بأنه "علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية"[3]، ويعرّف كذلك بأنه" علم نزول الآيات، وشئونها، وأقاصيصها، والأسباب النازلة فيها، ثمّ ترتيب مكيها ومدنيها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها، ومطلقها ومقيدها، ومجملها ومفسرها، وحلالها وحرامها، ووعدها ووعيدها، وأمرها ونهيها، وعبرها وأمثالها"[4].

2- تعريف التفسير الإشاري

أ- تعريف الإشارة

---

(1) أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، الجزء:04، ص: 504.

(2) خالد عبد الرحمن العك، أصول التفسير وقواعده، ط: 02، دار النفائس، دمشق، 1986. ص: 30.

(3) محمد بن عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، الطبعة: 03، الجزء:02، ص: 03.

(4) محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة (عابدين، مصر)، الجزء: 01، ص: 13.

لغة: الإشارة في اللغة معناها الإيماء باليد، نقول: أشار الرجل يشير إشارة إذا أومأ بيده، ويقال: شورت إليه بيدي وأشرت إليه أي لوحت إليه وألحت أيضا[1].

اصطلاحا: تعرّف الإشارة بأنها" ما يخفى عن المتكلم كشفه للعامة للطافة معناه"، وهناك تعرف آخر، " الإشارة إخبار الغير عن المراد بغير عبارة اللسان"[2].

والإشارة قسمان: إشارة حسية وإشارة ذهنية، فالحسية هي ما تكون في معاني أسماء الإشارة، أما الإشارة الذهنية فهي ما يتضمنها الكلام في معانيه الكثيرة بحيث لو عبر عنها لاحتاجت لألفاظ كثيرة[3].

ب- أما التفسير الإشاري فيعرّف بأنه:" تأويل القرآن بغير ظاهره لإشارة خفية تظهر لأرباب السلوك والتصوف، ويمكن الجمع بينها وبين الظاهر المراد أيضا"[4].

فالتفسير الإشاري هو صرف للآية عما تفيده من المعاني الظاهرة لوجود إشارة خاصة في نص الآية، ولا تظهر تلك الإشارة من جهة أخرى لغير قوم خاصين جاء وصفهم بأنهم "من أرباب السلوك وعلماء التصوف"، ثم هو من جهة أخرى صرف لا يستلزم دائما منافاة المعنى الظاهر للآية، بل مهما بدت بينهما المنافاة وجب الجمع بين المعنى الظاهر والإشاري[5].

وهناك تعريف آخر:" التفسير الإشاري هو تأويل القرآن على خلاف ظاهره، لإشارات خفية تظهر لبعض أولي العلم، أو تظهر للعارفين بالله من أرباب السلوك والمجاهدة للنفس، ممّن نوّر الله بصائرهم فأدركوا أسرار القرآن العظيم، أو انقدحت في أذهانهم بعض المعاني الدقيقة، بواسطة الإلهام الإلهي، أو الفتح الرباني، مع إمكان الجمع بينها وبين الظاهر من الآيات الكريمة"[6].

يوضح هذا التعريف أن هذا التفسير لا يظهر لعامة الناس، بل هو مقتصر على فئة مخصوصة وهم عباد الله الصالحين ممن فتح الله عليهم وأنار بصيرتهم ورزقهم الفهم والإدراك والعلم، كما

(1) انظر: ابن منظور، لسان العرب، الجزء:05، ص: 437.

(2) رفيق العجم، موسوعة مصطلحات التصوف الاسلامي، الطبعة: 01، مكتبة لبنان، بيروت، ص: 62.

3(3) خالد عبد الرحمن العك، أصول التفسير وقواعده، مرجع سابق، ص:206.

(4) محمد بن عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، مرجع سابق، ص: 78.

(5) بلحاج جلول، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية مجلد:15، عدد:03، سنة: 2019، ص:300.

(6) محمد علي الصابوني، التبيان في علوم القرآن، طبعة:03، دار احسان للنشر، 2003، ص: 171.

يضيف شيئا آخر وهو أن هذا العلم "التفسير الإشاري"، إنما هو من العلم "اللّدني" أي الوهبي الذي هو من أثر التقى والإستقامة والصلاح، كما في قوله تعالى في قصة الخضر مع سيدنا موسى عليه السلام[1]:﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ٦٥﴾ [سورة الكهف: 65]. [

3- مشروعية التفسير الإشاري

يستند الصوفية في قولهم بمشروعية الأخذ بالتفسير الإشاري إلى عدّة أدلة، فهم يرون أن التفسير الإشاري ليس بالأمر الجديد في ابراز معاني القرآن بل هو أمر معروف منذ نزول القرآن الكريم، ويوجد في القرآن الكريم والسنة النبوية وحتى في أقوال الصحابة رضوان الله عليهم ما يؤيد كلامهم، نذكر من هذه الأدلة ما يلي:

أ- أدلة من القرآن الكريم:

ففي القرآن الكريم العديد من الآيات التي تحمل أكثر من تفسير، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿فَمَالِ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ٧٨﴾ [سورة النساء: 78] ، وقوله﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ٨٢﴾ [سورة النساء: 82]، وقوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ٢٤﴾ [سورة محمّـد: 24].

فجميع هذه الآيات تشير إلى أن للقرآن الكريم "ظهر وبطن"، فالله سبحانه وتعالى حينما وصف الكفار بأنهم لا يكادون يفقهون حديثا، وأمرهم بتدبر القرآن هو لا يقصد المعنى الظاهر، ذلك بأنهم يفهمون لغة القرآن، فهم يفهمون ظاهره ولا شك، وإنما أراد صرف اهتمامهم إلى البحث عن مقصود الله ومراده، وهو المعنى الباطن الذي جهلوه ولم يصلوا إليه بعقولهم[2].

ب- أدلة من السنة:

فهم يستدلون بالأحاديث التي تبين أن للقرآن الكريم ظاهرا وباطنا وحدا ومطلعا، نذكر منها:

---

(1) المرجع نفسه، ص: 171 172. بتصرف.

(2) نجم الدين الكبرى وعلاء الذين السمناني، التأويلات النجمية في التفسير الإشاري الصوفي، الطبعة :01، دار الكتب العلمية، بيروت، 2009، ص: 19.

- حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنزل القرآن على سبعة أحرف، لكل حرف منها ظهر وبطن، ولكل حرف حد، ولكل حد مطلع "[1]،

ففي هذا الحديث تصريح بأن للقرآن الكريم "ظهر وبطن"، وقد ذكر الإمام السيوطي بعض الأوجه في تفسير معنى "الظهر والبطن" نذكر منها:

الوجه الأول: أن المراد بالظاهر لفظها، وبالباطن تأويلها.

الوجه الثاني: أن المراد بالظاهر ما ظهر من معانيها لأهل العلم بالظاهر، وبطنها ما تضمنته من الأسرار، التي أطلع الله عليها أرباب الحقائق.

الوحه الثالث: أن القصص التي قصها الله تعالى عن الأمم الماضية وما عاقبهم به ظاهرها الإخبار بهلاك الأولين، وباطنها وعظ الآخرين، وتحذيرهم أن يفعلوا كفعلهم، فيصيبهم ما أصابهم[2].

ج- أدلة من أقوال الصحابة:

كما يستدلون كذلك بما نقل عن الصحابة من أخبار مما يدل على أنهم عرفوا التفسير الإشاري وقالوا به، ومثال ذلك ما أخرجه ابن أبي الحاتم عن ابن عباس قال:" إن القرآن ذو شجون وفنون، وظهور وبطون، لا تنقضي عجائبه، ولا تبلغ غايته، فمن أوغل فيه برفق نجا، ومن أخبر فيه بعنف هوى، أخبار وأمثال، وحلال وحرام، وناسخ ومنسوخ، ومحكم ومتشابه، وظهر وبطن، فظهره التلاوة وبطنه التأويل، فجالسوا به العلماء وجانبوا به السفهاء"[3].

(1) أخرجه ابن حبان في صحيحه، الجزء:01، دار المعارف بمصر، السنة: 1952، رقم الحديث (84)، ص: 233 234، والطبراني في المعجم الكبير، الجزء:10، رقم الحديث:(10107)، ص:129 130، وأبو يعلي في مسنده، الجزء:09، رقم الحديث:5149، ص:80 81.

(2) محمد علي الصابوني، التبيان في علوم القرآن، ص:176.

(3) ذكره السيوطي في كتابه، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، الجزء:02، دار الفكر (بيروت)، ص: 150.

وكذلك ما روي عن أبي الدرداء أنه قال: "لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوها كثيرة"[1]، فهذه من الأدلة التي تدل على أن للقرآن تفسيرا آخر يستدل إليه بالإشارة، وهو يعتبر من أسباب تحصيل الفقه والفهم الكامل للقرآن الكريم الأمر الذي لا يحصل بمجرد التفسير الظاهر.

4- ضوابط التفسير الإشاري

وضع العلماء الذين قالوا بجواز التفسير الإشاري شروطا واضحة لقبوله واعتباره لونا من التفسير بالرأي المحمود، فنجد الإمام الشاطبي ذهب إلى اعتبار شرطين أساسيين في قبول التفسير الإشاري وهما:

الشرط الأول: أن يصح على مقتضى الظاهر المقرر في لسان العرب، ويجري على المقاصد العربية.

الشرط الثاني: أن يكون له شاهد نصا أو ظاهرا في محل آخر يشهد لصحته من غير معارض.

وقال ابن القيم: "وتفسير الناس يدور على ثلاثة أصول: تفسير على اللفظ، وهو الذي ينحو إليه المتأخرون، وتفسير على المعنى: وهو الذي يذكره السلف، وتفسير على الإشارة: وهو الذي ينحو إليه كثير من الصوفية وغيرهم، وهذا لا بأس به بأربعة شروط:

- ألا يناقض معنى الآية.

- أن يكون معنى صحيحا في نفسه.

- أن يكون في اللفظ اشعار به.

- وأن يكون بينه وبين معنى الآية ارتباط وتلازم، فإذا اجتمعت هذه الأمور الأربعة كان استنباطا حسنا[2].

كما ذكر الامام الزرقاني أن التفسير الإشاري لا يكون مقبولا إلا بشروط خمسة هي:

ألا يتنافى وما يظهر من معنى النظم الكريم.

---

(1) ذكره السيوطي في كتابه الاتقان في علوم القرآن، الطبعة: 01، السنة:2008، مؤسسة الرسالة ناشرون (بيروت، لبنان)، ص:301.

(2) مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، الطبعة: 07، مكتبة وهبة، القاهرة، ص: 348.

ألاّ يدعى أنه المراد وحده دون الظاهر.

ألا يكون تأويلا بعيدا سخيفا، كتفسير بعض المتصوفة لقوله تعالى:{ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} {العنكبوت،الآية:69}، يجعل كلمة "لمع" ماضيا، وكلمة المحسنين مفعوله، فهذا التفسير وأمثاله يحمل النصوص على غير ظاهرها ويجر إلى الزيغ و الإلحاد في آياته سبحانه وتعالى، قال تعالى:{ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا } {فصلت:الآية:40}، قال الآلوسي[1] في تفسير هذه الآية:" أي ينحرفون في تأويل آيات القرآن عن جهة الصحة والاستقامة فيحملونها على المحامل الباطلة"[2].

ألا يكون له معارض شرعي أو عقلي.

أن يكون له شاهد شرعي يؤيده[3].

فهذه الشروط وضعت لقبول التفسير الإشاري بمعنى عدم رفضه فحسب، وليست شروطا لوجوب اتباعه والأخذ به، ومتى التزم بهذه الشروط ولم يخرج عنها كان تفسيرا حسنا ومقبولا، من هذه الشروط في أن يكون للتفسير الإشاري شاهد شرعي يؤيده، وألاّ يكون له معارض شرعي أو عقلي، كما يشترط فيه أيضا ألا يدعى أنه المراد وحده دون المعنى الظاهر.

يقول الدكتور غازي عناية:" إن التفسير الإشاري على الجواز إذا اكتملت شروطه، وذلك لأنه لا يتعارض مع ظاهر القرآن وخاصة أن له شاهدا من الشرع، ولكن ليس على سبيل الوجوب في الأخذ به، لأن النظم القرآني لم يوضع للدلالة عليه، بل هو من قبيل الإلهامات التي تلوح لأصحابها، والإشارات التي تظهر للمفسر المتصوف من وراء العبارات القرآنية. فالتفسير الإشاري الذي هو من قبيل السلوك التعبدي الذي تصفو به النفس، ويطمئن به القلب تزهدا، وتقشفا، وورعا، فلا بأس به"[4].

---

(1) ترجمة الآلوسي: هو أبو الثناء شهاب الدين، السيد محمود أفندي الآلوسي (نسبة الى قرية اسمها " ألوس"، وهي جزيرة في منتصف نهر الفرات بين الشام وبغداد)، فقيه ومفسر ومحدث، ولد في بغداد سنة 1217هـ، اشتغل بالتدريس والتأليف في سن مبكرة، وتولى منصب الافتاء وبقي فيه حتى سنة 1263ه، له عدة كتب قيمة أبرزها تفسيره الكبير "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني"، توفي رحمه الله سنة 1270هـ، انظر :التفسير والمفسرون للذهبي، ص:250 251.

(2) محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة (عابدين، القاهرة)، الجزء: 02، ص:280.

(3) محمد بن عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، مرجع سابق، ص: 81.

(4) ولي زار، الجانب الإشاري في تفسير روح البيان لاسماعيل حقي، السنة: 2009، ص: 108.

5- منهج التستري في التفسير الإشاري من خلال كتابه" تفسير القرآن العظيم"

يعتبر كتاب "تفسير القرآن العظيم" لسهل بن عبد الله التستري(1) من أهم التفاسير التي اعتنت ببيان التفسير الإشاري، والكتاب عبارة عن أقوال في تفسير بعض الآيات، جمعها أبو بكر محمد البلدي في كتاب ونسبها إليه، يبين سهل التستري اتجاهه إلى التفسير الإشاري في مقدمة هذا الكتاب من خلال قوله:" وما من آية في القرآن إلا ولها أربعة معان: ظاهر وباطن وحد ومطلع، فالظاهر التلاوة، والباطن الفهم، والحد حلالها وحرامها، والمطلع إشراف القلب على المراد بها فقها من الله عزوجل، فالعلم الظاهر علم عام، والفهم لباطنه والمراد به خاص، قال تعالى:{ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا } {النساء، الآية:78}، أي لا يفهمون خطابا"(2).

يرى سهل التستري أن الظاهر هو المعنى اللغوي المجرد، أما الباطن فهو المعنى الذي يفهم من اللفظ ويريده الله تعالى من كلامه، كما نفهم من كلامه أن المعاني الظاهرة أمر عام يقف عليها كل من يعرف اللسان العربي، أما المعاني الباطنية فأمر خاص يعرفه أهل الله بتعليم الله اياهم وارشادهم

(1) ترجمة التستري: هو أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن رفيع التستري، من أعلام وأئمة التصوف وكبار العارفين، ولد في "تستر" في الأهواز سنة 200هـ(مائتين)، وقيل سنة 201هـ (احدى ومائتين من الهجرة)، كانت بدايات اتجاهه إلى التصوف في سن مبكرة، فقد أتمّ حفظ القرآن الكريم وتفقّه في أمور الشرع، قال صاحب كتاب "صفة الأولياء ومراتب الأصفياء":" ذكر سهل التستري وهو ابن ثلاث سنين، وصام وهو ابن خمس سنين، وترك الشهوات وهو ابن سبع سنين، وساح في طلب العلم وهو ابن تسع سنين، وكانت تلقى مشكلات المسائل على العلماء ثم لا يوجد جوابها إلا عنده وهو ابن إحدى عشرة سنة، وحينئذ ظهرت عليه الكرامات، وقد روي عنه أنه قال:" التوبة فريضة على العبد مع كل نفس"، وكان من ناحية رجل ينسب إلى العلم و العبادة، فهيج عليه العامة وطفره ونسبه إلى القبائح عند العامة حتى وثبوا عليه، فكان ذلك سبب انتقاله من تستر إلى البصرة. وقد ترك سهل رحمه الله مؤلفات قيمة منها: رقائق المحبين، مواعظ العارفين، جوابات أهل اليقين، تفسير القرآن العظيم. توفي رحمه الله في البصرة سنة 283 ه، وقيل 273 ه.(انظر: ولي زار، الجانب الإشاري في تفسير روح البيان لاسماعيل حقي، مرجع سابق، ص: 108، الحافظ الأصفهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الفكر، لبنان، 1996، جزء: 10، ص: 190، محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، مرجع سابق، الجزء: 02، ص:281، عبد الحليم محمود، العارف بالله سهل بن عبد الله التستري حياته وآراؤه، دار المعارف، القاهرة، ص: 28، أبي نصر السرّاج الطوسي، اللمع في التصوف، دار الكتب الحديثة، مصر، 1960، ص: 499، أيضا: منيع عبد الحليم محمود، مناهج المفسرين، الطبعة: 01، دار الكتاب المصري، القاهرة، ص: 31.

(2) سهل بن عبد الله التستري، تفسير القرآن العظيم، الطبعة: 01، دار الحرم للتراث، القاهرة، 2004، ص:76.

إليه[1]، وهو الأمر الذي أراد توضيحه، ومن خلال دراستنا لهذا الكتاب فإننا نستطيع أن نقول أن منهج سهل التستري في التفسير الإشاري يتمثل في النقاط التالية:

أ- أن سهل رحمه الله لم يقتصر في تفسيره على ذكر المعاني الإشارية فقط، فنجده يذكر أحيانا المعاني الظاهرة ثمّ يعقبها بالمعاني الإشارية، مثال ذلك تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ﴾ [سورة النساء: 36] . قال:" أما ظاهرها فالجار الجنب البعيد، والصاحب بالجنب هو الرفيق في السفر، وقد قيل الزوجة، وابن السبيل الضيف. أما باطنها: فالجار ذو القربي هو القلب، والجار الجنب هو الطبيعة، والصاحب بالجنب هو العقل المقتدي بالشريعة، وابن السبيل هو الجوارح المطيعة لله، هذا باطن الآية"[2]. وتفسيره لقوله تعالى:﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[الحجرات،الآية:09]، قال: ظاهرها ما عليه من أهل التفسير وباطنها هو الروح والعقل والقلب والطبع والهوى والشهوة، فإن بغى الطبع والهوى والشهوة على القلب والعقل والروح، فليتقاتل العبد بسيوف المراقبة وسهام المطالعة وأنوار الموافقة ليكون الروح والعقل غالبا والهوى والشهوة مغلوبا"[3].

ب- تصريحه في كثير من الحالات بالمعنى الباطن والاقتصار عليه دون ذكر المعنى الظاهر للآيات، وهذا ما يؤيد نزوعه للتفسير الإشاري، مثل تفسيره لقوله تعالى:﴿و ۪إِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾[الشعراء،الآية:80] ، قال:" يعني إذا تحركت بغيره لغيره عصمني وإذا ملت إلى شهوة من الدنيا منعني عنها"، وقوله: ﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴾[الشعراء،الآية:81]، أي "الذي يميتي بالغفلة ثم يحييني بالذكر"[4].

---

(1) محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، مرجع سابق، الجزء: 02، ص: 282.

(2) سهل بن عبد الله التستري، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ص: 131.

(3) المرجع نفسه، ص: 254.

(4) المرجع نفسه، ص: 210.

ج- التصريح في تفسيره لبعض الآيات بلفظ الإشارة، ومثال ذلك تفسيره لقوله تعالى: { فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} {النمل،الآية:52}، قال: "الإشارة في البيوت إلى القلب، فمنها ما هو عامر بالذكر ومنها ما هو خرب بالغفلة"[1].

د- الإكتفاء في تفسير بعض الآيات القليلة بذكر معناها الظاهر، مثل تفسيره لقوله تعالى: { وَلَا تَجَسَّسُوا} {الحجرات،الآية:12}، قال: "أي لا تبحث عن المعائب التي سترها الله على عباده فإنك ربما تبتلى بذلك"[2]، وتفسيره لقوله تعالى:﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ (15) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ {هود: 15-16}.

يعني من أراد بعلمه غير الله تعالى آتاه الله تعالى أجر عمله في الدنيا فلا يبقى له في الآخرة شيئ لأنه لم يخلص بعلمه لله لما أوجب له من المنزلة في الدنيا، ولو علم أن الله سخر الدنيا وأهلها لطلاب الآخرة لم يراء بعلمه[3]. فقول سهل في معنى النص الكريم فيه إشارة إلى أن من أراد بعلمه غير الله تعالى يوفى أجره في الدنيا ولا أجر له في الأخرة، لأنه لم يخلص عمله لله تعالى هذا القول من التفسير الإشاري المحمود لأن ظواهر القرآن والسنة تؤيده[4].

ه- استدلاله رحمه الله في كثير من التفسيرات بأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، ومثال ذلك ما أورده في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [سورة البقرة: 269] [5]، قال: روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" القرآن حكمة الله عز وجل بين عباده فمن تعلم القرآن وعمل به فكأنما أدرجت النبوة بين جنبيه إلا أنه لا يوحى إليه يحاسب حساب الأنبياء عليهم السلام إلا في تبليغ الرسالة"[6]. فالتستري رحمه الله يستدل بأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم غير أن أهم ما يلاحظ على استدلاله بالأحاديث النبوية هو عدم تحري الدقة في ثبوت الحديث أو بيان درجة صحته.

---

(1) المرجع نفسه، ص: 212.

(2) المرجع نفسه، ص: 255.

(3) المرجع نفسه، ص: 47.

(4) انظر: ولي زار، الجانب الإشاري في تفسير روح البيان لاسماعيل حقي، السنة: 2009، ص: 129.

(5) سهل بن عبد الله التستري، تفسير القرآن العظيم، ص: 114.

(6) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، المجلد:13، ص: 649، رقم الحديث: 14575، والحاكم في المستدرك، الجزء: 01، ص:738، رقم الحديث:2028. باختلاف يسير.

و- استدلاله رحمه الله في كثير من التفسيرات بما روي عن الصحابة رضوان الله عليهم، ومثال ذلك ما ذكره ورد في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ١٤﴾ [سورة الإسراء:14]، أنه قال: قال عمر رض الله عنه: "حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وتأهبوا للعرض الأكبر قبل أن تعرضوا"[(1)].

ز- استدلاله رحمه الله في العديد من التفسيرات بالمعاني اللغوية، ومثال ذلك ما أورده في تفسيره لقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا﴾ [سورة يوسف: 85]، قال: والحرض هو البلاء لتألم القلب[(2)].

هذه أهم ملامح التفسير الاشاري عند سهل التستري رحمه الله، ومما سبق تبين لنا أنه وبالرغم من أن سهل التستري كان يهدف من خلال تفسيره إلى إبراز المعنى الباطن أو الإشاري للآيات، إلا أن تفسيره لا يخلو من ابراز المعنى الظاهر، وذلك لاعتقاده أن للقرآن الكريم معنى ظاهر وآخر باطن، وأن المعنى الباطن لا يلغي ظاهر الآيات، كما نجده يستشهد كذلك في تفسيره بالمأثور، فقد ذكر فيه الكثير من النقول عن الصحابة والتابعين، كما يورد تفسيرات تعتمد على معاني الألفاظ والتفسيرات البلاغية. غير أن أهم ما يؤخذ على تفسير التستري هو عدم اهتمامه بإسناد الحديث والقول بدرجة صحته، ويمكن القول أن المعاني الإشارية في تفسير التستري كلها مقبولة ويمكن ارجاعها بدون تكلف إلى اللفظ القرآني بدون معارضة شرعية أو عقلية[(3)].

خاتمة:

يمكن إجمال أهم النتائج في النقاط التالية:

1- التفسير الإشاري هو نوع من أنواع التفاسير الذي اعتمدته الصوفية، وهم يهدفون من خلاله إلى إثبات أن للقرآن الكريم معنى ظاهرا وآخر باطنا، فالظاهر هو ما ينساق إليه الذهن قبل غيره، أما الباطن فهو ما يقتصر على فئة خاصة، وفهم هذه الفئة الخاصة مستمد من فيض إلهي ينير بصائرهم ويكشف لهم على زعمهم معارف لدنية مباشرة. وهم يهدفون من خلال انتهاجهم لهذا التفسير إلى تزكية النفوس وتطهير القلوب والحثّ على التحلي بالأخلاق الفاضلة.

---

(1) أخرجه الحافظ أبي نعيم الأصفهاني في كتابه: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، الجزء:01، دار الفكر (بيروت، لبنان) السنة: 1996، ص:52.

(2) سهل بن عبد الله التستري، تفسير القرآن العظيم، ص: 171.

(3) محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، مرجع سابق، الجزء: 02، ص: 283 284.

2- لقد وضع العلماء عدّة شروط لاعتبار التفسير الإشاري والأخذ به، تتمثل هذه الشروط في ما يلي:

- ألا يتنافى وما يظهر من معنى النظم الكريم.

- ألاّ يدعى أنه المراد وحده دون الظاهر.

- ألا يكون تأويلا سخيفا وبعيدا عن قوانين اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم.

- ألا يكون له معارض شرعي أو عقلي.

- أن يكون له شاهد شرعي يؤيده.

3- يعتبر تفسير سهل بن عبد الله التستري من أهم الكتب التي ألفت في بدايات التفسير الإشاري، ويتمثل منهجه في التفسير الاشاري في عدة نقاط أهمها:

-أن سهل رحمه الله لم يقتصر في تفسيره على ذكر المعاني الإشارية فقط، فنجده يذكر أحيانا المعاني الظاهرة ثمّ يعقبها بالمعاني الإشارية.

- ذكر التفسير الاشاري للكثير من الآيات والاقتصار عليه دون ذكر المعنى الظاهر.

- التصريح في تفسيره لبعض الآيات بلفظ الإشارة.

- استدلاله رحمه الله في الكثير من التفسيرات بأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، وبما روي عن الصحابة رضوان الله عليهم، وبالمعاني اللغوية للكلمات.

4- من خلال دراستنا لمنهج سهل التستري في التفسير الإشاري في كتابه "تفسير القرآن العظيم" يتضح لنا مدى التزامه رحمه الله بشروط وضوابط هذا النوع من التفسير، لذلك نستطيع أن نقول أن المعاني الاشارية في تفسيره كلها مقبولة، ولا يوجد ما يعارضها شرعا أو عقلا.

المصادر والمراجع:

1: **المصادر**

- القرآن الكريم

2: المعاجم

-أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر، الجزء: 03، 04.

- ابن منظور، لسان العرب، الجزء:05. دار صادر، بيروت.
3: **المراجع**
-أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، المعجم الكبير، المجلد:10،13، الطبعة:01، مكتبة الملك فهد 2008.
-أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، الجزء:01،10، دار الفكر، لبنان، 1996.
- أبي نصر السرّاج الطوسي، اللمع في التصوف، دار الكتب الحديثة، مصر، 1960.
- أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، الجزء:01، دار الكتب العلمية (بيروت-لبنان).
- أحمد بن علي بن مثنى التميمي، مسند أبي يعلي الموصلي، الجزء:09، الطبعة:01، دار المأمون للتراث، 1987.
- ابن حبان، صحيح ابن حبان، الجزء:01، دار المعارف بمصر، السنة: 1952.
- جلال الدين بن أبي بكر السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، الجزء:02، دار الفكر(بيروت).
- جلال الدين بن أبي بكر السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، الطبعة: 01، مؤسسة الرسالة ناشرون (بيروت، لبنان)، السنة:2008.
- خالد عبد الرحمن العك، أصول التفسير وقواعده، ط: 02، دار النفائس، دمشق، 1986.
- رفيق العجم، موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، الطبعة: 01، مكتبة لبنان، بيروت.
- سهل بن عبد الله التستري، تفسير القرآن العظيم، الطبعة: 01، دار الحرم للتراث، القاهرة، 2004.
- شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، جزء:08.
- عبد الحليم محمود، العارف بالله سهل بن عبد الله التستري حياته وآراؤه، دار المعارف، القاهرة.
- محمد بن عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، الجزء:02، الطبعة: 03.
- محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة (عابدين، مصر)، الجزء: 01، 02.
- محمد علي الصابوني، التبيان في علوم القرآن، طبعة: 03، دار احسان للنشر، 2003.
- مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، الطبعة: 07، مكتبة وهبة، القاهرة.

- منيع عبد الحليم محمود، مناهج المفسرين، الطبعة: 01، دار الكتاب المصري، القاهرة.
- نجم الدين الكبرى وعلاء الذين السمناني، التأويلات النجمية في التفسير الإشاري الصوفي، الطبعة :01، دار الكتب العلمية، بيروت، 2009.

4: **الرسائل**

- ولي زار، الجانب الإشاري في تفسير روح البيان لاسماعيل حقي، رسالة دكتوراه، سنة: 2009.

5: **المجلات**

- بلحاج جلول، المعالجة الصوفية للحقائق القرآنية عند المفسرين الجزائريين، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، مجلد:15، عدد:03، سنة: 2019.